

”في هذه الصفحات، ستتعلم أقوى الحجج الداعمة للإيمان المسيحي، وليس هذا فقط، بل ستجد أيضاً الكيفية التي تردُّ بها على أشهر الاعتراضات على تلك الحجج، وستكتشف أن هذا الكتاب حقيقيُّ بقوة، وشخصيُّ على نحوٍ مَرِح، وعمليُّ باتِّساقٍ، كما أنه مُقنعٌ جدًّا في عرضه للقضية ودعمه للإيمان المسيحي“.

لي ستروبل (Lee Strobel)،
متشكِّك سابق، ومؤلف مسيحيٍّ مشهور

”يمكن أن يُقال إنَّ وليم لين كريغ هو أحد أفضل الفلاسفة المسيحيين في عصرنا، وقد وضعته معرفته ومهارته الرفيعة ليكون متحدِّثًا ومحاضرًا على منابر كثيرة في جميع القارَّات، حيث ينخرط في مناظرات وحوارات مع أبرز المُتشكِّكين في العالم“.

رافي زكارياس (Ravi Zacharias)،
مؤسِّس ”خدمات رافي زكارياس الدوليَّة“ (RZIM)

”لا يوجد ما يكفي من الكلام لوصف الأثر الذي لا يزال وليم لين كريغ يتركه في ما يختصُّ بالكرازة بالمسيح. هو باختصارٍ أفضل وأكفأ من دافع عن الإيمان المسيحيِّ على مدار نصف القرن الماضي. فضلًا عن ذلك، فهو سفيرٌ متميِّز للسيد المسيح، قادرٌ على أسرِّ القلوب، وهو مُناظِرٌ لا مثيلَ له، ورجلٌ يحمل قلبَ كارز. لقد عرفته عن قربٍ ويسعني القول إنه يحيا حياةً مستقيمةً متَّسقةً يعيش فيها ما يؤمنُ به. لا أعرف مُفكِّرًا استطاعَ في جيلنا أن يصلَ بالبحث المسيحيِّ إلى أعلى مستوياته أفضل من كريغ. هو شخصٌ لا يتكرَّر، وأنا أشكر الله من أجل حياته وأعماله“.

جاي. بي. مورلاند (J. P. Moreland)

أستاذ الفلسفة في كليَّة لاهوت تالبوت (Talbot School of Theology)



مُستعدُّون للمُجاوِبة

كيف تقدّم إيمانك بعقلٍ ودقّة

وليم لين كريغ

ترجمة:

ماجد زاخر صبحي

د. سامح فكري حنّا



ophir

قائمة المحتويات

| | |
|-----|--|
| ١١ | تقديم الطبعة العربية: د. ماهر صموئيل |
| ١٥ | الفصل الأول: ما الدفاعيات؟ |
| ٣٧ | الفصل الثاني: ما أهميّة أن يكونَ الله موجودًا؟ |
| ٦٧ | الفصل الثالث: ما السبب وراء الوجود؟ |
| ٨٣ | فاصلٌ شخصي: رحلة فيلسوفٍ على طريق الإيمان |
| ٨٩ | الفصل الرابع: لماذا بدأ الكون؟ |
| ١٢٧ | الفصل الخامس: لماذا يتَّسم الكونُ بالضُّبط الدقيق الذي يجعلُه صالحًا للحياة؟ |
| ١٥٣ | الفصل السادس: هل يمكننا أن نكونَ صالحين دون الله؟ |
| ١٧٧ | الفصل السابع: ماذا عن الألم؟ |
| ٢٠٩ | فاصلٌ شخصي: رحلة إيمانٍ فيلسوف |
| ٢١٧ | الفصل الثامن: مَنْ كان يسوع؟ |
| ٢٥٥ | الفصل التاسع: هل قام يسوع من الأموات؟ |
| ٣٠٥ | الفصل العاشر: هل يسوع هو الطريق الوحيد إلى الله؟ |
| ٣٢٩ | الملاحظات |

تقديم الطبعة العربية

ما تعريفُ الدفاعيات؟ وما مدى حاجتنا إليها، نحن المسيحيين في العالم العربي؟ الدفاعيات هي فرع من العلوم اللاهوتية المسيحية يهتمُّ بالتحديات الفكرية التي يواجهها الإيمان المسيحي.

في خريف عام ٢٠١٠م، دُعيتُ لأحد المؤتمرات المهتمة بالدفاعيات. استمعتُ في ذلك المؤتمر إلى عددٍ كبيرٍ من المدافعين عن الإيمان المسيحي من شتى بقاع الأرض. تكلم أولئك عن التحديات المعاصرة، العلمية والفلسفية، التي يُثيرها مفكرون مختلفون، ويحسبونها عائقاً أمام قبول الحق المسيحي. وقبل نهاية المؤتمر، طُلب إليّ دون سابق اتفاق أن أقول كلمة بوصفي المتكلم الوحيد الحاضر من العالم العربي. قلتُ للحضور يوماً: "بعد الاستماع لكم وأنتم تمثلون شتى بقاع الأرض، شعرتُ بأننا في العالم العربي نعيش على كوكبٍ آخر، وننتمي إلى حضارة أخرى. فالتحدي الذي تواجهونه يختلف اختلافاً كبيراً عن الذي نواجهه نحن؛ فأنتم مشتبهون طوال الوقت مع أناس لديهم أسئلة وشكوك، بينما نصارع نحن طوال الوقت مع أناس لديهم إجاباتٍ و يقينيات، إلا أنها للأسف إجابات خاطئة و يقينيات زائفة".

شعرتُ يوماً بأننا نحتاج في العالم العربي إلى شيءٍ ما قادرٍ على استفزاز العقل ليخرج من سباته كي يتساءل ويتشكك.

وبعد بضعة أسابيع من هذا المؤتمر، دخل العالم العربي في مرحلة صعبة من الثورات الشعبية الضخمة، والتغيرات السياسية الكبرى، والحروب الأهلية الدموية. فكانت تلك مرحلة مؤلدة لم يخرج منها حتى تاريخ كتابة هذه السطور. وقد غابت كلُّ أوجه الاستقرار من الشعوب العربية، وغاب

معها أيضاً الاستقرار الفكريُّ المُرضي الذي أصابَ العقولَ بالتبُّس، وأصابَ المجتمعات بالركود والإفلاس الروحيِّ والفكريِّ والأخلاقيِّ.

وفي سياقٍ مُتصل، أقولُ إنَّنا تعلَّمنا في الفلسفة أنَّه يلزمُ كلَّ اعتقادٍ بنيةٌ ما تجعلُهُ مقبولاً. ويمكنني وصفها ببنية الاستساغة العقلية لهذا المعتقد أو ذاك (Plausibility Structure). وتتكوَّن هذه البنية من تراكيب اجتماعيةٍ وسياسيةٍ واقتصاديةٍ وغيرها. وما يحدث في العالم العربيِّ أدَّى إلى تفكيك هذه البنية، ممَّا جعل المعتقدات تهتزُّ بشدَّة إذ فقدت بنيتها التحتية. وعندما تهتزُّ المعتقدات تفقد العقول استقرارها، وتخرج من سباتها وتطرح أسئلتها. وهذا الوضع يجعلُ الدفاعيات المسيحية ضرورةً حتميةً.

فلنعترفُ أنَّ الكنيسةَ في العالم العربيِّ لم تكن مهتمةً بالدفاعيات في الماضي، وذلك لعدم بروز الحاجة إليها من جانب، ولأنَّ الكنيسةَ تحملُ ثقافةً مجتمعا بسلبياتهِ وإيجابياتهِ من جانبٍ آخر. أمَّا اليوم، وأمام تيارٍ فكريٍّ عاصفٍ يجتاح منطقتنا يتحدَّى من جهة الحقِّ المسيحيِّ، بينما يخلقُ من جهةٍ أخرى فرصاً غير مسبوقة لتقدِّم الإنجيل، فإنَّ الكنيسةَ لم تُعدْ تملك رفاهية عدم الاهتمام بالدفاعيات، بل عليها أن تعمل كلَّ ما في وسعها لتلتحم بمجتمعها، فتتنظرَ إلى ما تطرحه العقول من أسئلة، وتدرِّب نفسها، برجالها ونسائها، وشيوخها وشبابها، على التعامل الجيِّد مع أسئلة الناس من حولها وشكوكهم أيضاً.

ومن الجدير بالذكر هنا أنَّ الدفاعيات لا تخلِّصُ النفوس؛ فما يخلِّصهم هو حقُّ الإنجيل، وعملُ الروح القدس فيهم. لكنَّ كثيراً ما تكون هناك أحجارٌ تحتاج لأن تُرفعَ من طريق الباحث عن الحقيقة ليصلَ إليها، وهذا هو عمل المدافعين. وتعريفُ الخاصِّ للدفاعيات هو أنَّها تقدِّم حاجةً آمنة بحسب الكتاب المقدَّس، تكون سليمة منطقيًا، وواعية ثقافيًا أمام التحديات المعاصرة للإيمان المسيحيِّ، وتهدف إلى جسْرِ الهوة، ورفع العقبات من طريق أيِّ باحث عن الحقيقة. وعليه فعمل المدافع لا ينفصل عن عمل الكارز، ولا يُعني عنه.

تقديم الطبعة العربية

وفي هذا الصدد أشعر بالشكر لله لأنَّ التاريخ المسيحيَّ لم يخلُ في كلِّ عصوره من مدافعين عظماء عن الإيمان المسيحيِّ القويم، بدءاً من جاستن مارتير في القرن الثاني للميلاد ووصولاً إلى اليوم. ولا يستطيع أحد اليوم من كلِّ المهتمِّين بالدفاعيات أن ينكر أنَّ وليم لين كريغ، هو العلامة الأهمُّ، والرمز الكبير لعلم الدفاعيات المسيحية في عصرنا الحاليِّ، بل إنِّي أومنُ بأنَّ إسهاماته الفلسفية واللاهوتية في هذا المجال ستظلُّ كنزاً وإراثاً للأجيال اللاحقة.

وكم فعلتُ أوفير حسناً إذ ترجمت هذا الكتاب الذي يُعدُّ أحد أبسطِ وأسهلِ ما كتبه كريغ، ليكونَ أفضلَ ما يبدأ به كلُّ مؤمن بالمسيح يتوق إلى فهم أفضل لإيمانه. وليكونَ أداةً جيِّدةً يستخدمها كلُّ من يرغب في مساعدة الباحثين عن الحقيقة.

د. ماهر صموئيل،

مصر

الفصل الأوّل

ما الدفاعيّات؟

”مُسْتَعِدِّينَ دَائِمًا مُجَاوِبَةً كُلِّ مَنْ يَسْأَلُكُمْ عَنْ سَبَبِ الرَّجَاءِ الَّذِي فِيكُمْ“
(١بطرس ٣: ١٥).

أعلّم في أحد الصفوف في الكنيسة منهاجًا بعنوان ”المدافعون“ (Defenders)، وذلك لمجموعة تضمّ نحو مئة شخصٍ من خلفيّاتٍ مختلفة تتراوح ما بين طلاب المدارس الثانويّة وكبار السنّ، وذلك في كنيستنا المحليّة في مدينة أطلانتا (Atlanta). ويشغلنا في هذا الصّف أمران: ما الذي يُعلّمه الكتاب المقدّس (التعليم المسيحيّ) والكيفية التي يمكن بها أن ندافع عن هذا التعليم، ونجاوب عن الأسئلة المطروحة حوله (الدفاعيّات المسيحيّة). وأحيانًا يَلْتَبِسُ الأمر على الأشخاص الذين لا يحضرون معنا، فيعجزون عن استيعاب ما نفعل. في أحد الأيام جاءني سيّدةٌ محترمةٌ من الجنوب بعد أن عَلِمَتْ أَنِّي أعلّم الدفاعيّات المسيحيّة لتقول لي بنبرةٍ ساخطة: ”لن أقدم بتاتًا دفاعًا واعتذارًا عن إيماني!“.

المقصود بالدفاعيّات

السبب وراء سوء الفهم الذي حدث لهذه السيّدة واضح؛ فكلمة ”دفاعيّات“ (بالإنكليزيّة Apologetics) تُشبه في مَسْمَعِهَا كلمة ”يعتذر“ (بالإنكليزيّة * [Apologize]). لكنّ الدفاعيّات لا تُعلّمنا كيف نقدّم ”اعتذارًا“ للآخرين عن

* تحمل الكلمة أيضًا دلالة ”الاعتذار“ التي قد لا نغدها بوضوح في كلمة ”دفاع“ (المترجم).

دفاعيّات Apologetics

تُشتقّ كلمة ”Apologetics“
الإنكليزيّة من الكلمة
اليونانيّة ”أپولوجيا“
(Apologia) التي تعني
”الدفاع“ بالمعنى الذي
نستخدمه في المحاكم.
فمهمّة الدفاعيّات المسيحيّة
إذاً هي تقديم الحجّة على
صحّة الإيمان المسيحيّ
وصدقه.

مسيحيّتنا، بل هي تُشتقُّ كلمةً "Apologetics" الإنكليزيّة من الكلمة اليونانيّة "أپولوجيا" (Apologia) التي تعني "الدفاع"† بالمعنى الذي نستخدمه في المحاكم. فمهمّة الدفاعيّات المسيحيّة إذاً هي تقديم الحجّة‡ على صحّة الإيمان المسيحيّ وصدقه.

يوصينا الكتاب المقدّس بأن تكون هذه الحجّة جاهزةً لأن نُقدّمها لكلّ مَنْ يُريد أن يعرف الأسباب التي تجعلنا نؤمن بما نؤمن به. وكما يتعلّم المتبارزون كيف يتجنّبون الضربات من الخصم ويوجّهون الهجمات، فعلينا نحن أيضاً أن نكون "مُسعدّين" دائماً. يقول الكتاب في ١ بطرس ٣: ١٥ "كونوا مُستعدّين دائماً للمُجابهة [أي لتقديم الحجّة الدّفاعيّة] لكلّ مَنْ يسألكم عن سبب الرجاء الذي فيكم بوداعة واحترام" (الترجمة التفسيريّة للمؤلّف).§

فلنلاحظ هنا التوجّه القلبيّ الذي يجب أن نكون عليه عند تقديمنا هذه الحجّة الدفاعيّة: يجب أن نكون على حالٍ من الوداعة والاحترام لمن نقدّم لهم الحقّ. وحيث إنّ الدفاعيّات ليست أن نتعلّم تقديم الاعتذار عن إيماننا، فهي لا تعني أيضاً أن نجعل الآخرين يأسفون لكوننا مسيحيّين. في وسعنا أن نقدّم دفاعاً عن الإيمان المسيحي دون أن نتخذ موقفاً دفاعياً؛ كما أنّنا نقدر أن نقدّم حججنا التي تبرهن على صدق المسيحيّة بعيداً عن الجدال.

ناقش

لماذا يُعدّ الاحترام والوداعة شرطين جوهريّين للحديث مع غير المسيحيّين بما نؤمن به؟ هل رأيت مؤمناً بالمسيح يفعل ذلك دون التحلّي بالاحترام والوداعة؟ ما الذي حدث في هذا الموقف؟

ناقش

كيف تشعر عادةً عندما يتحدّى شخص ما معتقداتك المسيحيّة أو يسخر منها؟

† يمكن التعبير عن كلمة "دفاعيّات" (Apologia) على أنّها مرافعة منطقيّة تقدّم للدفاع عن قضية معيّنة. وقد كان هذا المفهوم شائعاً في العالم الرومانيّ القديم، حيث كان من أشهر الكتب في اليونان القديمة- وهي الحضارة التي استندت إليها الحضارة الرومانيّة- كان كتاب "مرافعة سقراط" (The Apology of Socrates) المؤلّفه أفلاطون (الناشر).
‡ الحجّة (وهي لفظ سيتركز استخدامه في هذا الكتاب) مصطلح فلسفيّ يعني "ما يُرادُ به إثبات أمر أو نقضه. ومن هذا الوجه تكون الحجّة مرادفة للاستدلال (أي إيجاد الدليل)...ويقول ابن سينا: «جرت العادة أن يُسمّى الشيء الموصّل إلى التصديق حجّة» (عن المعجم الفلسفيّ للدكتور مراد وهبة، مطبوعات دار قباء، ٢٠٠٧، ص ٢٦٦- المترجم).
§ استخدمتُ ترجمة "كتاب الحياة" في تفسيرها لكلمة "خوف" الواردة في نهاية الآية، والتي تتفق مع القراءة التي أوردها المؤلّف للآية لنفسها (المترجم).

عندما أتمدتُ في هذا الكتاب بالحجج المبرهنة على صحّة الإيمان المسيحيّ، فمن الضروريّ أن نفهم أنّ القصد ليس هنا الاختصام والتورط في مهاترات؛ فلا حاجة بتاتاً إلى ذلك في حديثنا بشأن إيماننا مع غير المسيحيين، إذ إنّ مُحصّلة ذلك ليست سوى إغصاب الناس وتنفيرهم بعيداً عنّا. والحجّة بالمعنى الفلسفيّ، كما سأوضح لاحقاً في هذا الفصل، ليست نزاعاً ولا تراشُقاً عصبيّاً بالكلمات؛ بل هي سلسلة من التصريحات الفكرية^١ التي تؤدي إلى خلاصة ما، ليس إلّا.

المفارقة هنا أنّه كلّما كانت الحجج التي تملكها في دفاعك عن إيمانك قويّة، صرت أقلّ ميلاً إلى الاختصام أو الإحباط من أحد. وهذا ما ألحظه في نفسي: كلّما زادت حُججِي قوّةً واتّساقاً، قلّت الفرص التي أصير فيها حجاجيّاً، مُجادلاً. وكلّما كانت حُججِي جيّدة، صرتُ أقلّ ميلاً إلى اتّخاذ مواقف دفاعيّة في تناول إيماني. وإنّ كانت لديك أسباب قويّة لما تؤمن به، وامتلكت الإجابات الصحيحة عن تساؤلات غير المؤمنين واعتراضاتهم، صار لك أن تستغني عن الغضب في حديثك، وستجدُ عندها نفسك هادئاً وواثقاً عندما تتعرّض للهجوم؛ لأنّك تعرف أنّ لديك الإجابات عمّا يُطرح عليك.

كثيراً ما أدخل طرفاً في مناظراتٍ فكرية تُنظّم في الجامعات حول مواضيع من قبيل "هل الله موجود؟" أو "المسيحيّة في مقابل الإلحاد". وأحياناً يتقدّم بعض الطلبة الموجودين ضمن جمهور الحاضرين في أثناء فقرة الأسئلة ليهاجموني شخصيّاً، أو يصبّوا عليّ جام إساءاتهم. وهنا أجدُ ردّ الفعل الصادر منّي ليس الغضب، بل الشعور بالأسف تجاه هؤلاء الطلبة لما أصابهم من التباس شديد. إنّ كانت لديك أسباب قويّة لما تؤمن به، فبدل الغضب ستشعر بتعاطفٍ حقيقيٍّ وأصيلٍ نحو غير المؤمن؛ لأنّه غالباً ما يكون ضحيّة

١ التصريحات الفكرية هي جُمْلٌ تعبر عن رأي أو حكم معيّن. فمثلاً هذا تصريح: "لا أحبّ اللون البرتقاليّ"، ويعبّر القائل فيه عن رأيه في اللون البرتقاليّ. وهذا أيضاً تصريح: "الكون ابتدأ بالوجود"، في هذا المثال، لا يعبر التصريح عن رأي، بل عن حقيقة تتعلّق بالكون وطبيعته (الناشر).

صَلَالَات. تُبْنَى الدَفَاعِيَّاتُ عَلَى أَسَاسٍ صَحِيحٍ عِنْدَمَا نُقَدِّمُ الْحَقَّ وَنَحْنُ
”صَادِقِينَ فِي الْمَحَبَّةِ“ (أَفْسَس ٤ : ١٥).**

هل الدفاعيات متوافقة مع الكتاب المقدس؟

يُظَنُّ بَعْضُ الْأَشْخَاصِ أَنَّ الدَفَاعِيَّاتِ لَيْسَتْ أَمْرًا بِحَسَبِ الْكِتَابِ الْمَقْدَسِ؛ وَحُجَّةٌ هَؤُلَاءِ أَنَّنَا يَجِبُ أَنْ نَكْتَفِي فَقَطْ بِتَقْدِيمِ الْإِنْجِيلِ، تَارِكِينَ الرُّوحَ الْقُدُسَ يَقُومُ بِعَمَلِهِ! لَكِنَّ عَقْدَادِي أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ وَالرُّسُلَ يَقَدِّمُونَ لَنَا نَمُودَجًا يُوَكِّدُ قِيَمَةَ الدَفَاعِيَّاتِ. لَقَدْ اسْتَعْمَدَ يَسُوعَ الْمَعْجَزَاتِ وَالنَّبَوَاتِ الَّتِي تَمَّمَهَا لِيُبْرَهَنَ عَلَى صِحَّةِ مَا يَقُولُ (لُوقَا ٢٤ : ٢٥-٢٧؛ يُوَحْنَا ١٤ : ١١). وَمَاذَا عَنِ الرُّسُلِ؟ لَقَدْ اسْتَعْمَدُوا أَيْضًا فِي حَوَارَاتِهِمْ مَعَ الْيَهُودِ النَّبَوَاتِ الَّتِي تَمَّتْ، وَمَعْجَزَاتِ يَسُوعَ، وَلَا سَيِّمًا قِيَامَتِهِ، لِيُبْرَهَنُوا عَلَى أَنَّهُ الْمَسِيحُ^{††} الْمُنْتَظَرُ. تَأَمَّلْ مِثْلًا عِظَةً بِطَرَسَ فِي يَوْمِ الْخَمْسِينَ الَّتِي يَسَجِّلُهَا لَنَا الْأَصْحَاحُ الثَّانِي مِنْ سَفَرِ الْأَعْمَالِ. فِي الْعِدَدِ ٢٢ يُشِيرُ بِطَرَسَ إِلَى مَعْجَزَاتِ يَسُوعَ، وَفِي الْأَعْدَادِ مِنْ ٢٥ إِلَى ٣١ يَتَحَدَّثُ بِشَأْنِ النَّبَوَاتِ الَّتِي تَمَّتْ فِي يَسُوعَ. كَذَلِكَ فِي عِدَدِ ٣٢ يَتَحَدَّثُ بِشَأْنِ قِيَامَةِ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ. بِاسْتِخْدَامِ كُلِّ هَذِهِ الْحُجَجِ سَعَى الرُّسُلُ لِأَنْ يُظَهِّرُوا صَدَقَ الْمَسِيحِيَّةَ لِأَنْسَابَتِهِمْ مِنَ الْيَهُودِ.

أَمَّا فِي حَوَارَاتِهِمْ مَعَ غَيْرِ الْيَهُودِ، فَقَدْ سَعَى الرُّسُلُ إِلَى إِظْهَارِ وَجُودِ اللَّهِ بِأَعْمَالِهِ فِي الطَّبِيعَةِ (أَعْمَالِ ١٤ : ١٧). يَقُولُ بُولَسَ فِي رُومِيَّةِ أَصْحَاحِ ١ إِنَّ الطَّبِيعَةَ وَحَدَهَا كَافِيَةٌ لِأَنْ يَعْرِفَ الْبَشَرُ بِهَا أَنَّ اللَّهَ مَوْجُودٌ (رُومِيَّةِ ١ : ٢٠). كَذَلِكَ لَجَأَ بُولَسَ فِي حَوَارَاتِهِ وَكِتَابَاتِهِ إِلَى شَهَادَةِ شُهُودِ الْعِيَانِ عَنِ قِيَامَةِ يَسُوعَ لِيُضَيِّفَ بَرَهَانًا آخَرَ إِلَى صَدَقَ الْمَسِيحِيَّةِ (١ كُورِنْثُوسَ ١٥ : ٣-٨).

ناقش

ما الحجج التي استخدمها بولس في أعمال ١٧ : ٢٢-٣١ ليقنع غير اليهود بصدق الإنجيل؟ ما أوجه الشبه والاختلاف ما بين حجج بولس وحجج بطرس في حديثه إلى اليهود في أعمال ٢ : ١٤-٢٩؟ ما الذي تتعلمه من هذين المثالين عن دور الدفاعيات في الكرازة بالإنجيل؟

** ”نعن الحق في المحبة“ بحسب الترجمة العربية المشتركة (المترجم).

†† أي المسيح المنتظر الذي تنبأ عنه أنبياء العهد القديم (الناشر).

ما الدفاعيات؟

وهكذا يتبين لنا أن يسوع والرسول على السواء لم يترددوا في استخدام البراهين للتدليل على صحة ما أعلنوه. ولا يعني هذا أنهم لم يتكلموا على الروح القدس ليأتي بالناس إلى الله، بل وثقوا بالروح القدس، وأتكلوا عليه ليستخدّم حُجَجهم وبراهينهم في الإتيان بالناس إلى الله.

ما أهميّة الدفاعيات؟

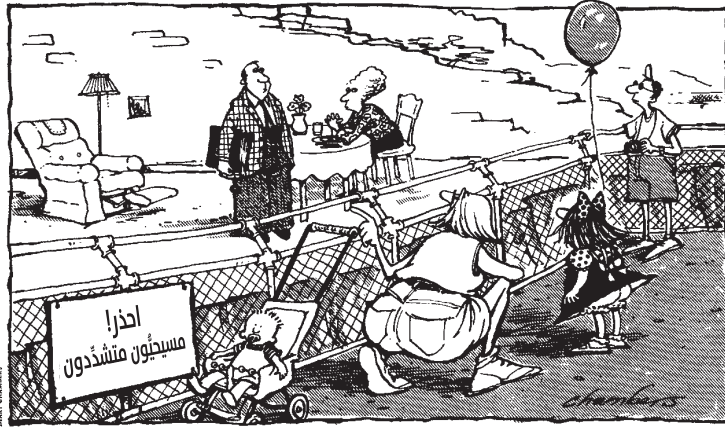
هناك أهميّة بالغة في أن يتدرّب المسيحيّون على الدفاعيات. لماذا؟ إليك ثلاثة أسباب:

١. تشكيل الثقافة. سمعنا جميعاً بما يُسمّى بالحرب الثقافية التي يتعرّض لها المجتمع الأميركيّ. ربّما لا يروقُ بعض الأشخاص هذا "المجاز العسكريّ"، لكنّ حقيقة الأمر أنّ هناك صراعاً هائلاً يشتعل الآن للنيل من روح أميركا. وهذا الصراع ليس سياسياً فقط، بل له أيضاً أبعاد دينيّة وروحيّة. ويسعى العلماءُون جاهدين إلى استبعاد الدّين من المجال العامّ. فضلاً عن جهود مَنْ يُسمّون بالملحدّين الجدد (New Atheists) †† من أمثال سام هاريس (Sam Harris) وريتشارد دوكينز (Richard Dawkins) والراحل كريستوفر هيتشنز (Christopher Hitchens) الذين يبغون القضاء على الاعتقاد الدينيّ كلّهُ.

لقد صارَ المجتمع الأميركيّ بالفعل مجتمَعاً ما بعد المسيحيّة. †† ما زال الإيمانُ بالهِ لا ملامح له هو العُرف السائد، وإن صارَ الإيمان بيسوع المسيح خارجاً عمّا هو مألوف ومقبول في الميدان العامّ. ما عدد الأفلام التي تُنتجها هوليوود وتُصوّر فيها المسيحيّين بصورةٍ إيجابيّة؟ على النقيض من ذلك، ما عدد المرّات التي يُصوّر فيها المسيحيّون بوصفهم أشخاصاً مُتزمّتين وسطحيّين

††: الملحدون الجدد هم جماعة من الكتّاب في العالم الناطق بالإنكليزيّة. خطابهم حشنٌ وهجوميٌّ إلى حدّ بعيد، ويرّون أنّ الأديان مخطئةٌ في ما تعتقده، ويشدّدون على ضرورة التخلّص منها لأنّها مؤذية للبشريّة (الناشر).
SS يشير المعنى إلى تحوّل المسيحيّة إلى مجرد إرث ينتمي إلى الماضي، ولا علاقة له بالحاضر ولا يؤثّر فيه (المترجم).

في تفكيرهم، ومُناقين بصورةٍ مذمومةٍ في سلوكهم؟ ما التصوّر العامُّ عن
المسيحيّين الكِتابيّين المتشدّدين في ثقافتنا المعاصرة؟



يبينُّ هذا الرسمُ الكاريكاتيريُّ لنا التصوّر العامُّ عن المسيحيّين لدي النخبة
المثقّفة في المجتمع الأميركيّ اليوم: هم كائناتٌ عجيبة وموضوع لفرجة البشر
الطبيعيّين. لكنْ لاحظ أنّهم أيضًا كائناتٌ خطيرة، فيجب عدم السماح لهم
بتوليّ المناصب ذات التأثير في المجتمع، بل ربّما يجب أن يُفرضَ عليهم الحظر.
لماذا تُمثّل هذه الاعتبارات الثقافية أهميّةً لنا؟ لم لا يكتفي المسيحيّون
بأتباع يسوع المسيح أتباعًا أمينًا ليسوع، وفي الوقت ذاته يُعصّون الطّرفَ عمّا
يدورُ حولهم في الثقافة التي يعيشون فيها؟ لماذا لا نكتفي بتقديم الإنجيل لعالمٍ
يُحتَضِرُ في عتمته؟

الإجابة هي أنّ خبر الإنجيل لا يُقدّم أو يُسمع بمعزل عن السياق الموجود
فيه. دائمًا ما يستقبل الناس الإنجيل على خلفيّة الثقافة التي وُلدوا ونشأوا
فيها. لذا فإنّ الشخص الذي شَبَّ في ثقافةٍ مُتعاطفةٍ مع الإيمان المسيحيّ
سيكون مُنفتحًا على خبر الإنجيل، وهو ما يفتقر إليه الشخص الذي نشأ في
ثقافةٍ علمانيّة. وللشخص المتأصل في تكوينه العلمانيّ سيستوي لديه الكلام

عن الجَنِّيَّاتِ والْعَفَارِيَتِ مع الكلام عن يسوع المسيح! والكلام عن المسيح عنده لا يقل عبثًا عن الكلام عن هذه الخرافات.

إن أردتَ أن تعرفَ تأثيرَ الثقافة في تفكيرك، تخيّل ما ستفكر فيه إن اقتربَ منك في المطار أو في أحد المباني التجارية شخص هندوسيّ مُتديّن من طائفة "هير كريشنا" (Hare Krishna) برأسه الحليق وردائه ذي اللون الزعفرانيّ وقَدّم لك وردة ومعها دعوة لأن تصيرَ أحد أتباع كريشنا. الاحتمال الأكبر أن هذه الدعوة ستبدو لك أمرًا غريبًا وعجيبًا وربما مثيرًا للضحك. لكن فُكّر في ردّ الفعل المختلف الذي سيبدُر من شخص يعيش في دلهي الهنديّة لو اقترب منه هذا الهندوسيّ المتديّن نفسه. لأنّ هذا الشخص الذي يعيش في الهند نشأ في ثقافة هندوسيّة، فالاحتمال الأكبر هنا أنّه سيأخذُ هذه الدعوة على مَحْمَلِ الجِدِّ.

إن استمرّت أميركا في انزلاقها إلى العِلْمانيّة، فإنّ ما ينتظرنا غدًا هو ما نراه بوضوح اليوم في أوروبا. لقد بلغتِ العِلْمانيّة في أوروبا الغربية حدًّا صار فيه من الصعب أن ينالَ خبرُ الإنجيلِ فرصته في أن يُقدّم بصورةٍ مُنصِفة. ومُحصّلة ذلك هو خدمة هائلة من جانب المُرسلين لسنواتٍ طويلة لا تؤدّي في النهاية إلّا إلى قبولِ أعدادٍ قليلةٍ للسيد المسيح. ولأنّي عشتُ في أوروبا مدّة ثلاثة عشر عامًا في أربع دولٍ مُختلفة، فشهادتي الشخصية تؤكّد مدى الصعوبة التي تواجه الناس حتّى يتجاوَبوا مع رسالة السيد المسيح. وعندما كنتُ أذهب للحديث في جامعات أوروبا، غالبًا ما كان ردُّ الفعل العامُّ لدى الطلّاب الحيرة والارتباك؛ فالمسيحيّة عندهم لا تصلح إلّا للعجائز والأطفال، وهنا كان السؤال الذي طرحوه على أنفسهم: إن كان الأمر كذلك، فما الذي يفعله هنا رجلٌ يحمل شهادتي دكتوراه من جامعات أوروبا؟ وما معنى أن يُقدّم دفاعًا عن الإيمان المسيحيّ بحججٍ لا نستطيع الردّ عليها؟

¶¶¶ تؤمن الهندوسيّة بتعدد الآلهة. وكريشنا هو أحد الآلهة الكبرى فيها (الناشر).

العَلَمَانِيَّة (Secularism)

العَلَمَانِيَّةُ هي رؤية إلى العالم لا تسمح بوجود كلِّ ما هو فائقٌ للطبيعة: لا معجزات أو إعلان إلهيٍّ أو حتَّى وجود لله.

في إحدى المرّات عندما كنتُ أتحدّث في إحدى جامعات السويد، وسألني أحد الطلاب في أثناء فقرة الأسئلة التي أعقبت محاضرتي هذا السؤال: "ما الذي تفعله هنا؟" بعدما أصابتنني الدهشة أجبتُ قائلاً: "حسناً! لقد تلقّيتُ دعوةً من قسم الدراسات الدينيّة لإلقاء هذه المحاضرة". فجاء ردُّ الطالب: "ليس هذا ما قصدته. ألا تفهم مدى غرابة ما تفعله؟ أنا أودُّ أن أعرف ما دفعك للإقدام على ذلك". ظنّني أنّ هذا الشابّ لم يَرِ فيلسوفاً مسيحيّاً من قبل. وفي واقع الأمر أخبرني أحد الفلاسفة السويديّين البارزين أنّه لا يوجد فيلسوفٌ مسيحيٌّ واحدٌ في أيِّ من جامعات السويد. وكان سؤال هذا الطالب فرصةً لي للمشاركة بقصّة اختباري مع المسيح، والكيفيّة التي تعرّفت بها إليه.

تضربُ النزعة الشكوكيّة*** جذورها العميقة في جامعات أوروبا بصورةٍ بالغة. فبينما كنتُ أتحدّث بموضوع وجود الله في جامعة پورتو (Porto) البرتغاليّة، اتّصل الطّلاب هاتفيّاً (كما عرفتُ لاحقاً) بالمعهد العالي للفلسفة بجامعة لوفان (Louvain) البلجيكيّة للتحقّق من أنّي لست مُدعّياً! لقد ظنّوا أنّي أستاذٌ مزيفٌ؛ لأنّهم لم يروا فيّ ما يتناسب مع الصورة النمطيّة التي كوّنوها أذهانهم عن المسيحيّ.

إنّ كان علينا أن نُقدّم بشارة الإنجيل للعقول المفكّرة (رجالاً ونساءً) بوصفها خياراً صالحاً وصحيحاً من الناحية الفكرية، فالضرورة موضوعة علينا، نحن المسيحيّين، أن نسعى إلى تشكيل الثقافة الأميركيّة††† على النحو الذي

ناقش

هل قابلت يوماً شخصاً رفضَ المسيحيّة بوصفها خرافةً من الخرافات؟ وإن كان ذلك قد حدث، فمتى؟ وكيف كان ردُّك على ذلك؟

*** ما يقصده الكاتب بالنزعة الشكوكيّة هو الميل غير المبرّر إلى التشكيك في ما يتعلّق بوجود الله أو بوجود أيّة معرفة صحيحة عنه (الناشر).

††† لا يخفى على القارئ الفطن مدى التشابه ما بين الحالة الأميركيّة والحالة العربيّة من جهة التحدّيات الفكرية التي تواجهها بشارة الإنجيل في اللحظة الحاضرة؛ فضلاً عن التحدّيات الفكرية التي يواجهها المسيحيّ العربيّ من جانب أصحاب الأديان الأخرى التي تؤمن بوجود الله- ومع ذلك تجد صعوبة فكرية في قبول أسس الإيمان المسيحيّ- يجد المسيحيّ العربيّ نفسه الآن في مواجهة موجة عاتية من التيارات الإلحادية التي طرحَتْ على المسيحيّ العربيّ أسئلةً جديدةً ومختلفةً عمّا اعتادَ مواجهته من أصحاب الأديان الأخرى، وهو ما يستلزم من=

ما الدفاعيات؟

يتعدّر معه وصم المسيحيّة بالخرافة ورفضها على هذا الأساس. وهنا تأتي أهميّة الدفاعيات المسيحيّة؛ فإنّ أمكن تدريب المسيحيين على تقديم الأدلّة المتناسكة على ما يعتقدونه، والإجابة عن أسئلة غير المؤمنين واعتراضاتهم. فالمحصلة النهائيّة هي التغيير التدريجيّ في بصيرة المسيحيين وإدراكهم، ممّا يؤدّي إلى تغيير النظرة العامّة إلى المسيحيين، فيُنظر إليهم لا على أنّهم أشخاص متعصّبون أو مُهرّجون تحرّكهم العواطف، بل بوصفهم ناسًا مُفكرين يُؤخذون على مَحَمَل الجِدِّ؛ وعند هذه اللحظة فقط تصيرُ بشارة الإنجيل خيارًا حقيقيًّا يمكن أن يقبله الناس.

لا أقصد هنا أنّ الناس سيصيرون مؤمنين بالمسيح بسبب الحُجج والأدلّة التي سنقدّمها لهم، بل ما أقوله هو أنّ تلك الحُجج والأدلّة ستُساعد على خَلقِ ثقافة يُنظر فيها إلى الإيمان المسيحيّ بوصفه أمرًا معقولًا، كما تساعد على إيجاد المناخ الفكريّ الذي يفتح فيه الناس على بشارة الإنجيل. لذا فالتدريب على الدفاعيات هو وسيلة حيويّة- ضمن وسائل أخرى- لأن نكون ملحًا ونورًا في الثقافة الأميركيّة اليوم.

٢. تشديدُ المؤمنين. للدفاعيات فوائدٌ هائلة في حياتنا نحن المؤمنين بالمسيح، وأكتفي بالإشارة إلى ثلاث منها.

أولًا: معرفتك بالأسباب التي تجعلك تؤمن بما تؤمنُ به، ستجعلك أكثر ثقةً بنفسك عندما تشارك إيمانك مع الآخرين. أختبر ذلك شخصيًّا في كلّ مرّة أكون فيها طرفًا في مُناظرة عامّة مع بروفيسور غير مسيحيّ. فمع أنّ هؤلاء الأساتذة يحوزون علمًا واسعًا في مجالات تخصّصاتهم، فإنّهم يفتقرون عمومًا

=المسيحيّ العربيّ تكوينًا فكريًّا وروحيًّا من نوع مختلف. وقد يكونُ الفارق الوحيد ما بين الحالتين الأميركيّة والعربيّة هو توافر رجال من قبيل وليّم لين كريب وجاي. بي. مورلاند (J. P. Moreland) ورافي زاكارياس (Ravi Zacharias) وآخرين للمجاوبة عن أسئلة هذا الثيّار، في الوقت الذي لا يكاد يوجد ما يكفي من المسيحيين العرب القادرين على الاشتباك الإيجابي مع أسئلة هذا الثيّار، والإجابة عنها باللغة التي يفهمها. من هنا جاءت أهميّة ترجمة هذا الكتاب (المترجم).

إلى أية فكرة عن الأدلة المتوافرة بشأن الإيمان المسيحي. وغالبًا ما تتفوق في هذه المناظرات الرؤية المسيحية على الرؤية غير المسيحية تفوقًا كبيرًا إلى الحد الذي جعل الطلبة الحاضرين من غير المسيحيين يشكون بأن نتيجة المناظرة كانت مُعدَّة سلفًا بحيث تبدو الرؤية غير المسيحية بهذا السوء! والحقيقة هي أننا نحاول دائمًا أن نأتي بأفضل المدافعين عن هذا الرؤية، والذين غالبًا ما يُختارون من جانب المُنادين بالفكر الإلحادي في الجامعة التي تستضيف المناظرة. †††

على النقيض من ذلك يخرج الطلبة المسيحيون من هذه المناظرات برؤوس مرفوعة، فخورين بمسيحتيتهم. قال لي أحد الطلبة الكنديين عقب إحدى تلك المناظرات: "أتطلع بشوقٍ إلى اللحظة التي أشارك فيها الآخرين إيماني بالمسيح!" أمَّا الأشخاص الذين لا يملكون التدريب على الدفاعيات، فهم غالبًا ما يخشون مشاركة إيمانهم أو الإعلان عن شخص المسيح، وذلك خشية أن يطرح عليهم أحدُهم سؤالًا صعبًا. لكنك إن عرفت الإجابات، فلن تخشى دخول عرين الأسد، بل إنك ستجد متعةً وأنت تفعل ذلك، إذ سيجعل منك التدريب على الدفاعيات شاهدًا للسيد المسيح على نحو لا يعرف فيه الجبنُ أو الخوف مكانًا في قلبك.

ثانيًا: ليستِ العواطف قادرة إلا على حملك مسافةً معيَّنة، لكنك تحتاج بعدها إلى ما يحملك إلى ما هو أعمق. عندما أتحدث في الكنائس بطول البلاد وعرضها، كثيرًا ما ألتقي آباءً وأمّهاتٍ يقولون لي: "كُنَّا نتمنى لو أنك كنت هنا قبل عامين أو ثلاثة! كان لدى ابنا أسئلة عن الإيمان لم يستطع أحد الإجابة عنها، وهو الآن بعيد عن الله". في الواقع تتوالى الأخبار عن مسيحيين يهجرون إيمانهم؛ فقد أخبرني مؤخرًا خادم مسيحي في جامعة ستانفورد بأن ٤٠٪ من الشباب المسيحي في المرحلة الثانوية

ناقش

من وجهة نظرك، ما الذي يجعل العديد من الطلبة يهجرون إيمانهم في المرحلة الثانوية وما بعدها؟ من المسؤول عن ذلك؟ وما الأسباب التي أدت إلى ذلك؟

††† في الجامعات الأميركية، هناك تنظيمات طلابية غايتها المناداة بالمسيحية وتنظيمات أخرى غايتها المناداة بالإلحاد. تلك التنظيمات الطلابية هي التي تنظّم المناظرات المذكورة (الناشر).

النزعة النسبية

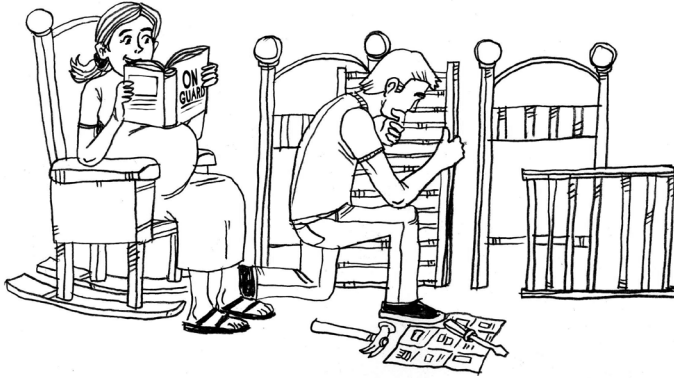
(Relativism)

تتبنى النزعة النسبية وجهة النظر القائلة إن الأمور نسبية وليست مطلقة. معنى ذلك أن أية قضية محل نقاش (حقيقة ما أو قيمة أخلاقية أو خاصة ما) لا يمكن النظر فيها إلا في نسبتها إلى شيء آخر. أن تكون غنياً مثلاً هو أمر نسبي. ولدى معظم الأميركيين، قد لا تكون غنياً، لكنك أحد أثري الأثرياء لبعض الأفارقة! على النقيض من ذلك هناك بعض الحقائق التي لا تخضع للتفكير النسبي، فمثلاً عدم فوز فريق الكيز (The Cubs) بكأس الأبطال للبايسبول الأميركي عام ٢٠٠٩ ليس أمراً نسبياً، لأن عدم فوزهم بهذا الكأس في هذا العام هو أمر حقيقي مُطلق. وهناك العديد اليوم ممن يعتقدون أن المبادئ الأخلاقية والمعتقدات الدينية هي حقائق نسبية بامتياز. وكما يقول هؤلاء، فإن ما هو حقيقي عندك، ليس كذلك عندي.

الذين كانوا قد انتظموا في اجتماعات الشباب داخل الكنائس سيتخلون تماماً عن أي ارتباط بالكنيسة بعد انتهائهم من المرحلة الثانوية. تحيّل ٤٠٪! والأمر هنا لا يتعلق بتبرك إيمانهم عندما انتقلوا إلى بيئة فكرية معادية للفكر المسيحي في الجامعة^{SSS}؛ بل ترك العديد منهم إيمانهم عندما كانوا لا يزالون في اجتماعات الشباب، وإن بدا أنهم كانوا مداومين على الأداء الزائف للممارسات المسيحية حتى اللحظة التي خرجوا فيها من دائرة سلطة الأهل.

اعتقادي أن الكنيسة خذلت هؤلاء الشباب ولا تزال تفعل ذلك. فبدل أن نمدّهم بالتدريب اللازم للدفاع عن الحق المسيحي، ركّزنا اهتمامنا على فرص التسيب العاطفية، وتلبية الاحتياجات الملموسة، وتقديم الترفيه لهم. لا عجب إذاً عندما يصيرون بدخولهم الجامعة صيداً سهلاً لكل أستاذ يصوب سهامه العقلانية إلى إيمانهم. يتعرض الطلبة في المرحلتين الثانوية والجامعية للهجمات الفكرية الصادرة عن الفلسفات غير المسيحية بأنواعها، يدعمها شيوع النزعتين الشكوكية والنسبية. وأمام ذلك كله، علينا أن نعدّ شبابنا لهذه المعركة. كيف نجرؤ على إرسالهم دون سلاح إلى منطقة معارك فكرية؟ على الأهل أن يفعلوا ما هو أكثر من مجرد اصطحاب أطفالهم إلى الكنيسة وقراءة قصص الكتاب المقدس لهم؛ فعليهم أيضاً أن يتدربوا هم أنفسهم على الدفاعيات ليتمكّنوا من أن يشرحوا لأطفالهم منذ نعومة أظفارهم ما يؤمنون به، وسبب إيمانهم بذلك، على أن يزداد هذا الشرح عمقاً في مراحل لاحقة. بأمانة شديدة أجدني غير قادر على فهم الأزواج المسيحيين الذين يخاطرون بإحجاب أطفال في هذا العالم وهذا الزمان دون أن يتلقوا تدريباً على الدفاعيات ضمن ما يتلقونه من تدريب على كيفية ممارسة والديتهم.

^{SSS} يتلقى الطلاب المسيحيون في بعض الجامعات الأميركية، بسبب إيمانهم، الكثير من الانتقاد والسخرية من أساندة في الجامعات، أو من زملائهم الطلبة. ويستند هذا الانتقاد إلى فكرة أن الإيمان المسيحي هو موقف فكري ضعيف وبدائي. وعند مواجهة هذا الكم الهيب من الانتقاد والسخرية، يستسلم الكثير منهم أمامه، ويتركون إيمانهم، لا سيما أن إيمانهم لم يُبنَ على أساسيات فكرية متينة (الناشر).



دون شك، لن تضمن الدفاعيات أن تتمسك أنت أو أولادك بالإيمان. فهناك العديد من العوامل التي يجب أن توضع في الحسبان هنا. تعرض بعض المواقع الإلحادية ذات التأثير الكبير نماذج لمؤمنين سابقين كانوا قد تدرّبوا على الدفاعيات، ومع ذلك هجروا إيمانهم. ولكن عندما تتأمل في الحجج التي يقدمونها بوصفها أسباباً وراء تركهم المسيحية، تجدها في الغالب حججاً مشوشة أو واهية. رأيت مؤخراً على أحد هذه المواقع شخصاً يقدم قائمة من الكتب التي أقتنعت أن المسيحية خاوية بلا مضمون- وأعقب سرده لهذه القائمة بتعبيره عن أمنيته بأن يقرأ هذه الكتب في يوم من الأيام! المفارقة الساخرة هنا أن بعضاً من هؤلاء يصل بهم الأمر إلى تبني وجهات نظر أكثر تطرفاً، وتحتاج إلى قدر أكبر من السذاجة لتصديقها- من قبيل أن يسوع شخصية غير حقيقية- إذا ما قورنت بالأراء المحافظة التي تبناها هؤلاء في ما مضى.

ورغم أن الدفاعيات لا تضمن التمسك بالإيمان، فإنها تساعد كثيراً على ذلك. ألتقي كثيراً في أسفاري العديد ممن استعادوا إيمانهم بعد أن كانوا قارب قوسين أو أدنى من التخلي عنه بالكامل، وذلك بسبب كتاب قرأوه عن الدفاعيات، أو مشاهدتهم مناظرة تدور حول القضايا محل اهتمام الدفاعيات. تشرفت مؤخراً بالحديث في جامعة پرينستون (Princeton) بالحجج الخاصة

ما الدفاعيات؟

بوجود الله. وبعد المحاضرة اقترب منِّي شابُّ أرادَ الحديثَ معي؛ وقال لي وهو يحاول أن يغالب دموعه إنه كان قبل عامين تقريباً في صراعٍ مريرٍ مع الشكوك، وكان على وشك التخلّي عن إيمانه. وحكى لي أنّ أحدهم أعطاه تسجيلاً فيلماً لإحدى مناظراتي، ثمّ قال لي الشاب: "لقد أنقذتني هذه المناظرة من ضياع إيماني. أنا عاجزٌ عن تقديم الشكر اللائق بكّ".

وكان ردّي: "إنّ الله هو من أنقذك من الضياع".

فأجاب قائلاً: "أجل! لكنّه استخدمك أنت. أنا شاكرٌ جداً لكّ". وبعد أن عبّرت له عن سعادتي البالغة من أجله سألته عن خطته المستقبلية، فقال لي: "أنا سأتخرّج هذا العام، وأنوي الالتحاق بكلّيّة اللاهوت لأكون راعياً". شكراً لله على الانتصار الذي حقّقه في حياة هذا الشاب. عندما تجوز في أوقاتٍ عصيبة ويبدو الله بعيداً عن مُتناول العواطف والحواس، فإنّ مهمّة الدفاعيات هي تذكيرك بأنّ إيماننا لا يقوم على العواطف، بل يتأسّس على الحق، ومن ثمّ عليك التمسك به.

ناقش

كيف يمكن أن تساعدك الدفاعيات؟

ثالثاً وأخيراً، ستضيفُ دراسةَ الدفاعيات إلى تكوينك الشخصي وتمنحك عمقاً شخصياً. تتسّم الثقافة الأميركية بالسّطحيّة الشديدة على نحوٍ مُفزع؛ وذلك بهوسها الكامل بنجوم المجتمع، فضلاً عن الترفيه والرياضة، والانغماس الشديد في إشباع ما تتوق إليه النفس. إنّ دراسة الدفاعيات ستأخذك بعيداً عن ذلك كله لتشتبك مع أكثر أسئلة الحياة عمقاً، بما في ذلك الأسئلة المتعلقة بوجود الله وطبيعته، وأصل الكون، ومصدر القيم الأخلاقية، ومعضلة الأمل والمعاناة... إلخ. وكلّما داومت على الاجتهاد في التفكير في هذه الأسئلة العميقة، تغيّرت شخصيتك تغيّراً ملحوظاً.

دراساتك للدفاعيات ستجعل منك شخصاً أنصَح وأكثر تأملاً وتبصراً في الأفكار؛ كما ستتعلم كيف تفكر تفكيراً منطقيّاً، وكيف تحلّل ما يقوله

الآخرون. وبدل أن تقولَ دون فهم ”هذا ما أشعر به إزاء هذه القضية، وشعوري هو رأيي، لا أكثر ولا أقل“، ستمكّن من قول: ”هذا ما أفكرُ فيه إزاء هذه القضية، وإليك أسبابي...“. وبوصفك مؤمناً بالمسيح، سيكون لك تقدير أكبر للحقائق المسيحية حول الله والعالم، وسترى أنّ هذه الحقائق جميعها تتسقُ معاً لتكوّن رؤيةً مسيحيةً إلى العالم.

الإتيان بغير المؤمنين إلى المسيح. سيَتفقُ معي كثيرون في ما قلته بشأن دور الدفاعيات في تشديد المؤمنين، ولكنهم ينكرون في الوقت نفسه دورها في الإتيان بغير المؤمنين إلى المسيح. وهؤلاء يقولون لك: ”لا أحد يأتي إلى المسيح بالحجج الفكرية!“

ظنّي أنّ مَنْ يُفكّرون كذلك هم- إلى حدٍّ ما- ضحايا تَوَقُّعاتهم غير الصحيحة. عندما ندرك أنّ فئةً قليلةً جدًّا من الذين يسمعون بشارَةَ الإنجيل يتجاوبون معها تجاوبًا إيجابيًا ويصنعون ثقتهم في شخص المسيح، فعلينا ألاّ ندهش إذا عرفنا أنّ معظم الناس يرفضون الاقتناع بما نقدّمه من حجج وأدلة. ومن ثمّ من الطبيعيّ أن نتوقّع أنّ غالبية غير المؤمنين سيظلّون غير مقتنعين بما نقدّمه من حجج دفاعية، بالقدر نفسه الذي لن يتأثروا فيه بأيّ وعظٍ عن الصليب.

لكنّ عليك أن تتذكّر أنّه لا يمكن لأيّ منّا أن يتحقّقَ تمامًا من التأثير التراكمي الذي تُحدِثه مثل هذه الحجج الدفاعية؛ فهي مثل البذرة التي تُزرع، ثمّ تُروى مرّةً بعد الأخرى بأشكالٍ لا يمكن أن تتصوّرَها. كذلك يجب ألاّ نتوقّع أن يستسلم غير المؤمن بسهولة عندما يستمع إلى حُججتنا الدفاعية؛ فالطبيعيّ أن يردّ الهجوم، فما يراهنّ عليه كبيرٌ عنده. ولكننا بالصبر نزرع ونروي على رجاءٍ أن تنمو البذرة بمرور الزمن وتأتي أُكلها.

وربّما تتساءل هنا: لماذا تهتمُّ إذاً بتلك الفئة القليلة من البشر التي تُجدي معها الدفاعيات وتنتجُ أثرًا؟ السبب الأول أن لكلّ إنسانٍ قيمته في نظر الله، وأنّ السيّد المسيح مات لأجله. مثل الشخص المرسل الذي يتثقل بالدعوة

سي. أس. لويس (C. S. Lewis): فرسُل من الله إلى المتشككين

ترك سي. أس. لويس (1898-1963م) المسيحية في صباه لأسباب شخصية وفكرية. إلاّ أنه عندما عمل أستاذًا للأدب الإنكليزيّ في جامعة أكسفورد في أواخر العشرينيات وأوائل الثلاثينات من عمره، تعرّف إلى أصدقاء وكتباب قدّموا إليه من الحجج ما أفتعه أولاً بوجود الله، ثمّ بالمسيحية. وعندما صار لويس مؤمناً بالمسيح، استخدم مواهبه الأدبية والفكرية في شرح الرؤية المسيحية إلى العالم والدفاع عنها، وصار بسبب كتاباته- التي وُزِعَ منها أكثر من ١٠٠ مليون نسخة حول العالم- واحدًا من أكثر المدافعين عن الإيمان المسيحيّ تأثيرًا في جيله.

للذهاب إلى جماعة غامضة من الناس لا يعرف عنها شيئاً، كذلك المؤمن بالمسيح الذي يقدم الحجج الدفاعية عن إيمانه، هو أيضاً يتثقل بالوصول إلى تلك الفئة القليلة التي ستتجاوب مع حججه وأدلتها المنطقية.

السبب الثاني هو أن هذه الفئة من الناس رغم عددها الصغير نسبياً، فهي تملك تأثيراً هائلاً. مثالي على ذلك هو سي. أس. لويس الذي كان واحداً من تلك الفئة من الناس. ولك أن تتأمل هنا التأثير الذي لا يزال يحدثه تحول شخص واحد بحجم هذا الرجل وقامته إلى الإيمان بالمسيح! من واقع خبرتي الشخصية، فإن أكثر الناس تجاوباً مع ما أقدمه من حجج دفاعية غالباً ما يكونون من المهندسين أو المحامين أو العاملين في القطاع الطبي. وهؤلاء الناس هم أكثر الفئات تشكياً لثقافتنا والتأثير فيها اليوم. لذا، فالوصول إلى هذه الفئة المحدودة سيُسهم حتماً في مضاعفة الحصاد لملكوت الله.

على أية حال، فإن الفكرة التي تعتقد بعدم تأثير الدفاعيات في الكرازة هي فكرة غير صحيحة. ذكر لي الكاتب المسيحي لي ستروبل (Lee Strobel) مؤخراً أنه صار الآن غير قادر على حصر عدد الناس الذين قبلوا السيد المسيح بسبب كتابيه "الحجة عن المسيح" (*The Case for Christ*)، و"الحجة عن الإيمان" (*The Case for Faith*). كذلك الحال مع خبرتي الشخصية التي تؤكد أن للدفاعيات تأثيرها في الكرازة؛ فنحن في حالة سعادة متواصلة بكل الأشخاص الذين نراهم وهم يقدمون حياتهم للمسيح بواسطة تقديم الإنجيل جنباً إلى جنب مع الدفاعيات.

بعد انتهائي من محاضراتي حول الحجج المنطقية الدالة على وجود الله، أو الأدلة على قيامة يسوع المسيح، أختتم حديثي أحياناً بصلاة أشجعُ بها الحاضرين على تقديم حياتهم للمسيح. وبعد فحص بطاقات الرأي التي يملأها الحاضرون بعد المحاضرة، أجد كلمات تشير إلى استجابة بعضهم هذه الدعوة. وعندما قدمت مؤخراً مجموعة من المحاضرات في جامعات وسط إلينوي (Illinois)، كنتُ

غاية في السعادة عندما اكتشفنا أن كل مرة نقدم فيها مثل هذه المحاضرات في أي من هذه الجامعات، كان الطلبة يتجاوبون معها ويقررون تسليم حياتهم للمسيح. لقد رأيتُ طلبةً يُسلمون حياتهم للمسيح بمجرد سماعهم للحجة الكونية (Cosmological Argument) التي سأشرحها لاحقاً في هذا الكتاب.

كما كانت سعادتي بالغة أيضاً وأنا أسمع قصص الأشخاص الذين جذبهم شخصُ المسيح بقراءة نص كتبه مرتبط بالدفاعيات. منذ هجمات الحادي عشر من أيلول/سبتمبر عام ٢٠٠١م، كان لي شرف الدخول في مناظرات مع مختصين في الدفاعيات الإسلامية، وذلك في العديد من الجامعات في كندا والولايات المتحدة. ومؤخراً تلقيتُ مكالمةً في صبيحة يوم سبت، وكان على الطرف الآخر صوتٌ يحملُ لكنةً أجنبيةً. وبعد أن ألقى التحية، عرف نفسه وبلده (الذي يقع في منطقة وسط العالم)، استرسل في حديثه معي ليخبرني بأنه كان قد تخلّى عن إيمانه سرّاً وصار ملحدًا. والآن بعد أن قرأ العديد من كتب الدفاعيات المسيحية التي ابتاعها عبر الإنترنت، استعاد إيمانه بالله، وكان في طريقه إلى تسليم حياته للمسيح.

وكان هذا الشخص قد تأثر بالأدلة على قيامة يسوع، وهاتفني لأنه كان بحاجة إلى ردود على عددٍ من الأسئلة التي كان يحتفظ بها. تحدّثنا مدة ساعة، وشعرتُ بأنه آمن فعلاً من قلبه، لكنّه كان حذرًا وأراد التيقنَ أولاً من توافر كل الأدلة لديه قبل أن يُقدم على الخطوة الأخيرة إقدامًا واعيًا. وأخذ الرجلُ يشرح لي قائلاً: "أنت دون شك تفهم أنني لا أستطيع أن أُطالعك على اسمي الحقيقي. في بلدي يتحتّم عليّ أن أعيش حياةً مزدوجة، وإلا كان مصيري القتل". عند هذه اللحظة صليتُ معه طالبًا من الله أن يستمر في إرشاده وقيادته إلى الحق، ثم ودّعته. لك أن تتخيّل ما أحملهُ في قلبي من شكرٍ لله على استخدامه لهذه الكتب، وكذلك استخدامه للإنترنت، في حياة هذا الرجل! إن قصصاً كهذه يمكن أن تتضاعف، كما أن هناك بالتأكيد الكثير غيرها التي لا نعرف عن معظمها.

عندما تُستخدم الدفاعيات بصورة مُقنعة وتُقدّم بحكمة مع رسالة الإنجيل، مدعومةً بشهادة شخصية، فالرُّوح القدس يجدُّ مسرَّته في استخدام هذه كلها ليأتي بالنفوس إلى الله.

كيف يمكنك أن تجنّب الفائدة القصوى من هذا الكتاب؟

القصد من هذا الكتاب أن يكونَ دليلًا تدريبيًّا يؤهِّلُك لتتِمِّم الوصية في ١ بطرس ٣: ١٥. لذا فهذا الكتاب للدراسة وليس فقط للقراءة. ستجدُّ في هذا الكتاب العديد من الحجج التي صغتها في خطواتٍ يسهلُ تذكرها. وعند نقاشي كلَّ حجةٍ سأقدِّم سببًا (أو مجموعةً من الأسباب) التي تجعلني أعتقد أنَّ كلَّ مقدمةٍ من مقدماتٍ حجّتي صحيحة. وسأتبعُ ذلك بمناقشة الاعتراضات المعتادة على كلِّ مقدمةٍ من مقدماتٍ الحجّة، وكيفية الردِّ عليها. وسيمكّنك بهذا الشكل أن تستعدَّ مُسبقًا للتعامل مع أيِّ من الأسئلة المحتملة التي يمكن أن تُطرح عليك لدى مشاركتك الآخرين بإيمانك.

مثلاً، لنفترض أن أماننا الحجّة التالية:

١. كلُّ البشر مائتون.

٢. سقراط واحدٌ من البشر.

٣. إذا، سقراط مائت.

هذا ما نُسَمِّيه حُجَّةً صحيحةً منطقيًّا. وصحّة هذه الحجّة هي من صحّة مقدماتها الأوليين اللتين تؤدِّبان أيضًا إلى صحّة النتيجة النهائية.

يعبّر المنطق (Logic) عن عقل الله (يوحنا ١: ١)؛ لأنّه يشرح لنا الكيفية التي يُفكّر بها كائنٌ تتجاوزُ عقلائيته كلَّ تصوّر. ويضمُّ المنطقُ تسعَ قواعدٍ أساسية. وإن اتبعت قواعد المنطق، فإنها تضمنُ لك الوصول إلى نتائج صحيحة إن كانت مقدمات حجّتك صحيحة. وهنا نستطيع القول إن صحّة النتيجة وصدقيتها تستندان منطقيًّا إلى مقدمات الحجّة.

المقدمة

الخطوات التي تتضمنها أية حجة وتؤدي إلى نتيجة ما تُسمى مقدمات الحجّة.

السؤال المطروح علينا إذاً هو: هل المقدمتان ١ و ٢ في الحجّة السابقة صحيحتان؟ عند إثباتنا للمقدمة الأولى في وسعنا أن نقدّم أدلة علمية وطبيّة على حقيقة أنّ كلّ البشر مائتون. ولكي نثبت الخطوة الثانية يمكننا أن نستخدم الأدلة التاريخية التي تثبت أنّ سقراط كان إنساناً حقيقياً. وفي أثناء قيامنا بذلك، علينا أن نفكر في أيّ اعتراض يمكن أن يوجّه إلى المقدمتين ١ و ٢ ونجد الإجابات عنه. مثلاً، قد ينفي أحدهم صحة المقدمة ٢؛ لأنه يعتقد أنّ سقراط مجرد شخصيّة أسطوريّة وليس إنساناً حقيقياً. وهنا علينا أن نثبت أنّ الأدلة المتاحة تُظهر لنا خطأ هذا الاعتقاد.

إذا خضعت لقواعد المنطق وكانت مقدماتك صحيحة، فحتمًا ستكون النتيجة التي وصلت إليها صحيحة أيضًا.

إنّ في وسع أيّ شخص مُتشكك أن يُنكر أيّة نتيجة، فقط بنفي واحدة من المقدمات التي بنيت عليها نتيجتك. وهنا ليس في وسعك أن تفرض على أحد قبول نتيجة ما إن كان راضياً برفض إحدى المقدمات، ودفع ثمن هذا الرفض. كلُّ ما عليك فعله في هذه الحالة هو أن توجه انتباه هذا الشخص إلى الثمن الباهظ الذي سيتكلّفه برفضه مثل هذه النتيجة، وذلك بتقديم الأدلة الدامغة على صحة المقدمات التي طرحتها.

مثلاً، الشخص الذي ينفي المقدمة رقم ٢ في الحجّة السابقة إنما يفعل ذلك بسبب تبنيه زعمة شكوكيّة تاريخيّة تحسبها الأغلبية الساحقة من المؤرخين المحترفين أمراً لا مسوّغ له. لذا، في وسع هذا الشخص أن ينفي هذه المقدمة إن أراد، ولكنّه سيدفع حينها الثمن بأن يجعل من نفسه يبدو كأنه فقد صوابه. مثل هذا الشخص لا يستطيع بحالٍ من الأحوال أن يحكم بعدم العقلانيّة على من يقبل فعلاً بصحة المقدمة رقم ٢.

وهكذا، عندما نعرض الحجج الدفاعيّة للوصول إلى نتيجة ما، فكلُّ ما نرجوه هو أن نلفت الانتباه، قدر الإمكان، إلى الثمن الباهظ الذي سيتكلّفه

المرء بإنكاره النتيجة. وهنا كلُّ رغبتنا هي مساعدة غير المؤمن أن يرى التكلفة الفكرية التي سيتكبدها عند مقاومته النتيجة التي نعرضها أمامه. حتى لو أراد أن يدفع هو هذه التكلفة، فعلى الأقلَّ سيستطيع أن يرى لماذا نحن غير مُضطرين إلى دفعها، وبهذا يتوقَّف عن السخرية من المؤمنين بالمسيح بحجَّة أنَّهم غير عقلانيين، أو لا يملكون أسبابًا قويَّة لما يؤمنون به. وإن كان هذا الشخص غير راغبٍ في دفع هذا الثمن، فقد يُغيِّر من طريقة تفكيره ويقبل النتيجة التي نسعى إلى التَّدليل عليها.

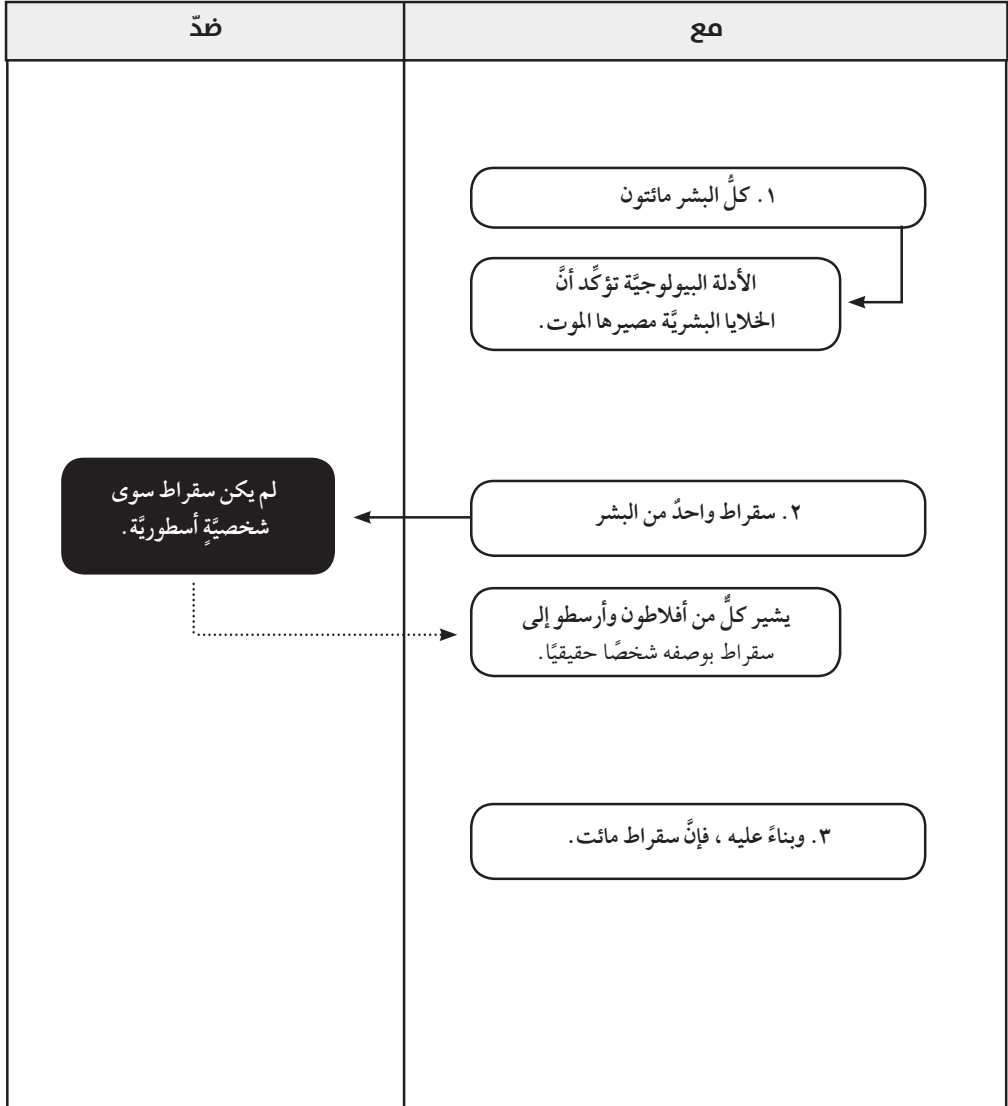
حاولتُ في تقديمي للحُجج والأدلة في هذا الكتاب أن أكون بسيطًا (أي أن أجعل الأفكار سهلة الفهم) دون أن أكون تبسّيطيًا (أي أن أجعل الأفكار سطحيَّة، فتظهر أسهل للفهم، لكنَّ متانتها الفكرية تقل). كذلك سأقدِّم أقوى الاعتراضات على الحُجج التي أعرضها، مع ردودي على تلك الاعتراضات. ربَّما تجدُ المادَّة المقدَّمة في هذا الكتاب جديدةً أو صعبة عليك؛ لذا أشجِّعك أن تقرأ الكتابَ في أجزاء صغيرة يسهل هضمها. وربَّما من المفيد أيضًا أن تكونَ عضوًا في مجموعة صغيرة يمكنك فيها أن تناقش الحُجج. أرجو ألا تقلقَ إن وجدتَ نفسك مختلفًا معي في بعض الأفكار؛ فالقصد هنا أن أساعدك على التفكير بنفسك.

في نهاية معظم فصول الكتاب ستجدُ خريطة أو موجزًا للحجَّة المتعلقة بالقضية المطروحة في الفصل. ولأشرح لك هنا كيف تستخدم خريطة الحجَّة. تأخذ الخريطة شكلًا ديناميكيًا، وتقدِّم حُجتي الأساسية في العمود الأوَّل تحت عنوان "مع"، وفي الجهة المقابلة ستجد عمودًا بعنوان "ضدّ" أعرض فيه كلَّ الاعتراضات التي قد تثار من جانب المعارضين للحجَّة الأساسية. أمَّا الأسهم التي تنطلق من كلا العمودين باتجاه العمود الآخر فتشير إلى الردود التي يمكن أن تُقدِّم من كلا فريقَي "مع" أو "ضدّ". ستساعدك هذه الخرائط على رؤية الصورة الكبرى للقضايا المطروحة في الفصول.

انظرُ مثلاً في خريطة الحجّة الموجودة تالياً:

في العمود الأوّل من الخريطة نجدُ المقدّمة الأولى للحجّة: "كلُّ البشر مائتون". وإذا تتبّعنا السهم سنجدُ الدليلَ على صحّة هذه المقدّمة، وهنا لا يوجدُ أيُّ اعتراض على هذه المقدّمة، وهكذا تظلُّ الخانة تحت عمود "ضدّ" خالية. وبعد ذلك تحت عمود "مع" ستجدُ المقدّمة الثانية: "سقراط واحدٌ من البشر". وهنا لدى المُتشكك ردٌّ على ذلك، لذا ستجد تحت عمود "ضدّ" الاعتراض القائل إنّ "سقراط مجردُ شخصيّة أسطوريّة". وإذا تتبّعنا السهم، سنجدُ الردّ على هذا الاعتراض الذي يشرح بوضوح الأدلّة التاريخيّة على وجود سقراط بوصفه إنساناً حقيقيّاً. لاحظ هنا أنّ الخريطة تقدّم خلاصةً موجزةً جدّاً للأفكار، لذا فإنّ قراءة خرائط الحجج لا تُعدُّ بديلاً عن دراسة الحجج ذاتها كما يعرضُ لها الكتاب. وتساعدك خرائط الحجج فقط على رؤية الصورة الكبرى للقضيّة محلّ النقاش.

نموذج لخريطة الحجّة



هل ترغبُ في الدفاع عن إيمانك على نحوٍ يتَّسم بالذكاء؟ هل تحبُّ أن تكونَ في متناولك مجموعةٌ من الحجج التي يمكن أن تشارك بها شخصاً يظنُّ أنَّه ليستَ لدى المؤمنين بالمسيح أسبابٌ قويَّةٌ لما يؤمنون به؟ هل مللتَ من الشعور بالخوف والجزع من غير المؤمنين؟

إن كانت إجاباتك ”نعم“ عن الأسئلة السابقة، فواصلِ قراءة هذا الكتاب الذي يُسعدُني أنَّك اخترته، كما أسعد بك كونك مستعداً للمجابهة عن سبب الرجاء الذي فيك .